"عَمَلِيَّاتُ العَقْلِ-المَفْتوح" (Open-Mind Surgeries) – حَلْقَة (15)

أَمِيرِكا التي رَآها سَيِّد قُطْب!

حوارٌ واقِعِيٌّ بين كاتِبِ المقالِ وأَبِيه!

عزَّام محمد زقزوق*

قبلَ ما يُقارب الأربعين عامًا شدَّ اهتمامي كُتَيِّبٌ للأديبِ والمفكِّرِ الإسلاميّ/ سيِّد قطْب (يرحمه الله) بعنوان "**أَمِريكا التي رَأَيْت**". وقد استَحوَذ عَلَيَّ مضمونُهُ؛ وتَغَلْغَلَ في فهمِي، وتشكيلِ تَصوُّرِي، **حول الأَسْقامِ القِيَمِيَّةِ المادِّيَّةِ في الحضارةِ الأَمِيرِكِيَّةِ... وَالمُنذِرَةِ بانهيارِها!!**

ولِشِدَّةِ اهتمامي به قمتُ بقراءته عِدَّة مراتٍ! وفي نهاية قراءتي الأخيرة **كنتُ جالسًا مُستغرقًا في التأمُّل والتَّصَوُّر الذي أحدثه في مُدرَكِي الحِسِّيِّ الفَتِيّ**، في ظِلِّ تَعريشَةِ عِنَبٍ في فِناءِ مَنزلنا، بِمَعِيَّةِ الوالد (يرحمه الله)! وكنتُ منه كيُوسُف من يَعقوب (عليهما السَّلام)!

وَقتَها؛ أجريتُ معه حِوارًا عميقًا حول خُلاصة فهمي النَّاشئ، وتصوُّرِي المُتَطَلِّع، لمضمونِ الكُتَيِّبِ المذكور... فما كان منه إلَّا أن خَتَمَ حوارَنا بالنظر إلَيَّ حَزينًا أَسِفًا! ومُردِفًا بالقولِ في لهجةٍ فِلَسْطِينِيَّةٍ عامِّيَّةٍ: "**يابا! مِنْ يُومِتْ ما الله** (ﷻ) **خَلَكْنا وِحْنا بِنِسْمَعْ هَلْحَجِ** (الجِيمُ هنا تُنطَقُ كَمِثْلِ نُطْقِ "Ch" في الإنجليزية)! **دَشْرَكْ مِنُّهْ وَاهْتَمْ بِمُسْتَكْبَلَكْ**"! والترجمةُ الفصيحَةُ لنَصيحَتِهِ هي: "**يا بُنَيَّ! مُذْ وَعَيْنا وَنَحنُ نَسمَعُ هكذا دَعاوَى! دَعْكَ مِنها؛ وَاهْتَمَّ بِمُستَقبَلِك**".

صدَمَني كلامُهُ وآلَمَني! لدرجةِ أَنِّي هِمْتُ على وجهِي لساعاتٍ، في سهلٍ قريبٍ من منزلنا... مُستهجِنًا وعاجِزًا عن تَجسِيرِ الهُوَّةِ **بين مضمونِ قولِهِ المُعاشِ المَنْظُور**...! **ومُفادِ الكُتَيِّبِ المَسْطُور**...!!

مُحَصِّلَةُ السنوات التقديرية فيما بين زمن وَعيِ الوالدِ حتى وقتنا الحالي تقاربُ الثَّمانينَ عامًا... **وأَمِيرِكا بِفَهمِنا وتَصَوُّرِنا تُعاني وما تزالُ! وتُوشِكُ على الانهيار!!**

أُعدِمَ سيِّد قُطْب! وانتَكَسَت حركتُهُ الإسلامِيَّةُ؛ التي نَظَّرَ لها... وناصَرَها وأَحَبَّها...!! **وأَمِيرِكا ما تزالُ! أو تُوشِكُ أن تنهارَ؛ بحَسَبِ تفكيرِنا الرَّغْبِيِّ** (Wishful Thinking) النَّفسِيِّ؛ وهو تفكيرٌ مُبنِيٌّ على الرَّغْبَةِ لا على الحقيقَة والواقِع!

وفي الحقيقةِ والواقِعِ أنها، ومنذ ذلك الوقت، **ازدادَت قُوَّةً في مَنَعَتِها... ومَناعَتِها... وتَزدادُ استِشْفاءً ذاتِيًّا** (Self-healing) بِعَودَتِها لِوَضعِها السَّوِيِّ مِمَّا أصابها أو قد يُصيبها؛ حيث إنَّ مُحَفِّزَ عَودَتِها ومُوَجِّهَهُ مِن ذاتِها! ونحن مَنِ **ازدادَ... لا بل وَفِي ازدِيادِ تَخَلُّفٍ! و انحِطاطٍ!! وَتَبَعِيَّة!!!**

ومُؤخَّرًا كذلك؛ استَحضرتُ ذاتَ الحوار! على إثْرِ ما وقع من اعتداءٍ غَوْغائِيٍّ على مبنى الكُونْغْرِس الأَمِيرِكِيّ (Capitol) بواشنطن! **وكيف استطاع النظام والقانون الأَمِيرِكِيَّيْن، ومن ورائهم الثقافة الأَمِيرِكِيَّة، تدارُكَ الأمر، والتغلُّبَ عليه... في ساعاتٍ معدودة!** وهذا -بالمناسبة- قد حصل لذات الكونغرس قبل أكثر من قَرنَيْنِ من الزمن... وكانت الغَلَبَةُ لذات الثقافة والنظام والقانون الأَمِيرِكِيّيْنَ وقتها! لا بل وازدادُوا قُوَّة... على مبدأ: "**الضَّرْبَةُ التي لا تُفْنِينِي تُقَوِّينِي**"!

أمَّا القشَّة التي قَصَمَت ظهرَ البَعير! ودفعتني لكتابة مقالي هذا؛ فهي ما قرأتُ، ولا أزالُ، لِمُثَقَّفي واقعِنا!! **ما مُفادُهُ أنَّ ما حصل مُؤخَّرًا هو إيذانٌ بالانهيارِ الأَمِيرِكِيّ الوَشِيك، وأنَّ أَمِيرِكا ستَتَشَرذَمُ لا مَحالَة... وعمَّا قريب! وأنَّ... إلخ!** مِن تَحَيُّنٍ وتَرَقُّبٍ في شَكلِ دَعاوَى تَفتَقِرُ لما يجب من مُستَوَياتِ الوَعيِ للذَّات... وللآخَر... والمُوغِلَةِ بالتفكير الرَّغْبِيّ؛ حيث فُقدان الرُّؤيَة استِشرافيًّا... وإستراتِيجِيًّا...!!

كُلِّي يَقينٌ بأنَّ اللهَ ﷻ لَو أَمَدَّ في عُمُرِ الإنْسانِيَّةِ قُرُونًا وَأَلْفِيَّاتٍ **فَسَتَبْقى تَذْكُرُ عَصْرًا اسْتِثْنائِيًّا؛ بِإِيجابِيَّاتِهِ...! وَسَلْبِيَّاتِهِ...!** اسْمُهُ **العَصْرُ الأَمِيرِكِيّ** (American Era)! فإنَّ مِن حقائِقِ الوُجودِ وسُنَنِهِ الإلهيةِ حَقِيقَة: "**... وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُداوِلُها بَيْنَ النَّاس...**" (آلِ عِمْران:140)

الكَونُ بالفِطْرَةِ يكرهُ الفَراغ... وعليه؛ **بِماذا سَنَملأُهُ نحن إنْ حصلَ انهيارٌ لأَمِيرِكا...؟!!** هل سنملأه بالبحث عن راكِبٍ آخَرَ يَمْتَطِينا؟! أم سَنَلجَأُ إلى مُستثمرٍ بَدِيلٍ يستثمرُ فِينا؟!!

أمَّا خُلاصَةُ الحَلِّ... وباختصار! فهي كامِنَةٌ في نصيحةِ الوالدِ أبي عَدنان زَقْزُوق: "... **دَشْرَكْ مِنُّهْ وَاهْتَمْ بِمُسْتَكْبَلَكْ**". نعم! دَعُونا من هذه الدَّعاوَى، وليكُنْ مِنَّا اهتمامٌ أكبر بمستقبلنا الفردِيّ، والمُنَظَّمِيّ، والمجتَمَعِيّ... وبذلك نرجو مَوْعُودَ اللهِ ﷻ ورَسُولِهِ ﷺ: "**... ثُمَّ تَكُونُ خِلافَةٌ عَلى مِنْهاجِ نُبُوَّة**" (الرَّاوي: النُّعمانُ بن بشير - المحَدِّث: أحمد بن حَنْبَل - المصدر: مسند الإمام أحمد بن حنبل - الطبعة الثانية: 1429هـ/2008م - الجزء (30) - الصفحة (356) - الرقم (18406). خلاصة حكم المحَدِّث شعيب الأرنؤوط وفريقه: حَسَن)

نعم! بِتَعاهُدِنا الاسْتِشْرافِيّ! لِما هُوَ قائِمٌ عالمِيًّا بِالتَّشْخِيصِ وَالعِلاجِ الصَّائِبَيْنِ؛ ضِمْنَ إسْتْراتِيجِيَّةٍ كُبْرى! مَآلُهُ وُضُوحُ... فَتَشَكُّلُ... نِظامِ: **وِلاياتٍ مُتَّحِدَةٍ إِسْلامِيَّةٍ (United States of Islam - USI)**!

والله وَلِيُّ ذلك والهادِي إليه،،،

التاريخ: 26، جُمادى الأُولى (05)، 1442هـ
الموافق: 10، كانون الثاني (01)، 2021م

***مستشارومُدَرِّب وباحث إدارة مشروعات**